القصص

كلبتى (بلوتا)

بقلم الاديب حسين شوقى

من المظنون ان العبقرية لاتغيب طويلا عن (كرمة ابن هانى.) فان البواكير التى تتفتح عنها قريحة حسين شوقى فى الشعر والقصص لابد أن تذكرها بمهبطها الأول ومألفها القديم ، ولعلك واجد فى هذه القصة الساذجة من رقة الحديث وخفة الاسلوب مايبعث الأمل فى هذا الظن .

اذا سقت اليك الحديث الآن عن كلبتى (بلوتا) فانما هى حجة أصطنعها لأذكر فصلا من عهد الطفولة اللذيذة التى تنعش ذكراها النفس كأنما هى على حد تعبير المصريين القدماء : مكان رطب ظليل فى يوم قيظ لافح . .

(بلوتا) كلبة اسبانية ، حصلنا عليها فى برشلونة أثناء المنفى ، على سبيل الهدية . . وكان صاحبها من رجال السلك السياسى اضطرته المهنة أن يغادر اسبانيا الى بلد آخر بعيد ، وكان يخشى ما تجره اليه بلوتا من متاعب أثناء الطريق ، فرأى ان يهديها الينا . .

قدمتنا بلوتا بعد ظهر يوم من أيام الشتاء ضاح جميل ، وكنا مجتمعين فى الحديقة ننظر ذلك العضو الجديد فى أسرتنا ! .

حقاً ! ما كان أجمل بلوتا بشعرها الأبيض الناصع ذى اللفائف المتعددة ، لانها كانت من النوع الذى يشبه الخراف فى فروته ، . . وكان شعرها مقصوصا على شكل يحاكى لبدة الأسد ، أرسلوه الى آخر الصدر ثم حلقوا النصف الباقى بالموسى . . وكان فى عنقها طوق أحمر يبدو احمراره بين الخصل المكدسة من تلك الفروة القطنية . .

وكانت بلوتا فى تلك اللحظة تمشى الهوينى فى خيلاء وتيه كأنها تطلب منا أن نتأمل حسنها فى أناة ، أو ربما يكن فى استطاعة المسكينة أن تمشى أسرع من ذلك لبدانة جسمها . . وقد سميت من أجل هذا بلوتا أى الكرة . .

وألفت بلوتا عشرتنا فى أقصر مدة ، حتى كانت تضايقنا بهذه الألفة . . اذ لم يعد فى استطاعتنا أن نذهب الى أى مكان بدونها

وكان فى احدى ضواحى برشلونه متنزه جميل تتوسطه بحيرة حفت بالأشجار الكثيفة الملتفة فكنا نقصد هذا المكان فى أيام الصيف فتتغدى على ضفاف البحيرة ، فكانت بلوتا ترافقنا الى هذا المكان . . بل كانت تتقدمنا اليه فى المسير . ، فاذا ما شاهدت الماء جن جنونها فتلقى بنفسها فى البحيرة وتظل تسبح طول النهار رائحة غادية فى عظمة وأبهة كأنما هى مدرعة تختال فوق عباب الأطلنطيق !

فاذا دعوناها الى الانصراف أبت مغادرة الماء ، فكان لابد من الاحتيال عليها لاخراجها منه ، وكانت أنجع الحيل معها ان نلوح اليها من الشاطىء بقطعة من السكر ، لانها كانت مولعة بأكله . فاذا خرجت لتلتهمه قبضنا عليها بسرعة !

لشد ما كانت بلوتا تعبد الماء ! ، انها لتحملنى على ان أصدق الرأى القائل بتقمص الأرواح ! فليت شعرى فى أى نوع من السمك قد حلت روح بلوتا من قبل ياترى ؟

الفت بلوتا كلاب الحى كذلك ، حتى كان لها من بينهن العشاق الكثر . . لأن كلاب الاسبان ككلاب الشرق يملن أيضا الى الأجسام البضة !

واذا كان لبلوتا « كما تقدم » شكل الأسد ، فلم تكن لها أبدا شجاعته ، فانها كانت تولى الأدبار عند ما يحتدم الشجار بين عشاقها (من أجلها) وتعود فتختبىء تحت سريرى . .

والأمر الغريب ان بلوتا كانت على علاقة حسنة حتى مع القطط ! كانت مثال التسامح صادقة الايمان بمبادىء لوكارنو السلمية !

ولما كانت بلوتا بدينة الجسم فقد عولت ذات يوم على ان أجرب على جسمها التمارين الرياضية لاخفف من شحمها المتكدس ، فكنت فى صباح كل يوم أطرحها على الأرض ثم أشد يديها الى الخلف ، ورجليها الى الأمام . . مرارا عديدة . . حتى تئن المسكينة من التعب والألم وكلما كان والدى يرانى منهمكا فى ذلك ، كان يلومنى على عملى صائحا ، ما أقسى طبيعة الطفل ! أما أنا فكنت أفعل هذا لأنتقم لنفسى على حساب بلوتا المسكينة ، مما كنت أعانيه من الشدة فى التمارين الرياضية بمدرستى من أستاذها الألمانى .

ولشد ما كانت بلوتا ذكية أيضا !

كانت لها حجرة نوم تحت السلم طولها متران فى مثلهما عرضا . . وكانت الخادم تأتى كل ليلة الى الصالون حوالى الساعة العاشرة فتأخذها من بيننا لتذهب بها الى تلك الحجرة فتغطيها باللحاف ، لان ليالى برشلونه الشتوية قارسة البرد ، فاذا أبطأت الخادم فى بعض الليالى فى الحضور ، كانت بلوتا تذهب بنفسها الى حجرة نومها ثم تعود الى الصالون وفى فمها غطاؤها ، وتظل منتظرة على هذه الحال حتى تحضر الخادمة فترافقها الى مضجعها ! .

وكانت بلوتا تعبد الشكولاته ! واليك ما صنعته بى ذات مرة : كنت أنا أيضا أحب الشكولاته . . فكنت أشترى منها كل يوم - لدى عودتى من المدرسة - بماقيمته خمسة قروش ، لان مرتبى لم يكن يسمح لى وقتئذ والأسفاه ان أشترى بأكثر من هذه القيمة . . وكنت آكلها سرا حتى لا يشاركنى فيها أحد . . ولكن بلوتا بذكائها الفطرى العجيب كانت تدرك الامر فتقف أمامى حينما تعرف ان القرطاس بجيبى ، ولا تبرح مكانها حتى أناولها قطعة منه . . ففى ذات يوم كنت جالسا الى مكتبى ، عاكفا على دراستى ولم أعطها فى تلك المرة حصتها من الشكولاتة ، فلم يكن منها إلا ان دست يدها خلسة فى جيبى فسرقت القرطاس وذهبت دون ان اشعر ، فلما وضعت يدى فى جيبى لاخرج قطعة من القرطاس لم أجده ، ولكننى عرفت فى الحال من هو السارق ، فاسرعت الى السرير حيث اعتادت بلوتا ان تختبىء لانقذ ما يمكن إنقاذه ، فوجدتها ويا للاسف قد التهمته كله ! . . وكانت الشكولاتة قد لوثت ذقنها . . لقد غاظتنى فى ذلك اليوم لانه كان يوم عطلة ولم يكن فى استطاعتى ان اشترى قرطاسا آخر . . فلما انتهت الحرب الكبرى ، وسمح لنا بالعودة الى مصر ، اردنا ان نتعجل الرجوع الى الوطن المحبوب فاجمعنا الرأى على أن نركب أول باخرة تغادر أوربا ، لذلك قصدنا البندقية لنلحق باخرة إيطالية كانت تتأهب للسفر بعد أيام قلائل ، ولما كان السفر طويلا شاقا على السكة الحديدية من برشلونة الى البندقية ، فقد تركنا بلوتا عند بعض الاصدقاء فى برشلونة ليرسلها الينا فى مصر على الباخرة التى تسافر من برشلونة مباشرة الى بورسعيد بعد شهر من ذلك التاريخ

وما كان أسعدنا وأسرنا حين جاءتنا برقية تنبئنا بوصول بلوتا الى بورسعيد ! . هرع فى مساء ذلك اليوم الى محطة القاهرة والدى وأخى وأنا لاستقبالها . . فلما وصل القطار اذا بنا نجد بلوتا سوداء اللون كأنها أحد عمال المناجم ، لأن المسكينة قطعت المرحلة ما بين بورسعيد والقاهرة فى عربة الفحم ! . . عرفتنا بلوتا فى الحال . . وكم كان سرورها عظيما ! فكانت تارة تقبل ايدينا ، وطورا تجذب أرديتنا ، ومرة أخرى تقفز فى الهواء ، على رغم بدانتها . . اما ركاب القطار فكانوا ينظرون اليها دهشين . . ولما عدنا بها الى المنزل استطاعت بلوتا بقوة شمها الحاد ان تعرف حجرة والدتى فقفزت الى سريرها بفحمها وغبارها فايقظتها ، ولم تنج بلوتا فى تلك الليلة من عقاب محتم الا لفرط اشتياقنا اليها بعد غيبتها الطويلة !

ولكن مسرات هذا العالم وأسفاه قصيرة المدى ! كما يقول سرفانتس . . فانه لم تمض على بلوتا أشهر قليلة فى مصر حتى مرضت مرضا شديدا اضطرنا إلى قتلها كى تستريح مما كانت تكابد من عذاب وألم

ثم دفناها بالحديقة تحت الشجرة الكبيرة بالقرب من السور الخلفى . . ثم حفرت اسمها وتاريخ ميلادها ووفاتها على شاهد من المرمر نصبته على قبرها . ومالك تستكثر على بلوتا الوفية الذكية هذا الاكرام وفى الكلاب ناس كما فى الناس كلاب ؟